المؤتمر العلمي الدولي الأول لكلية اللغة العربية بجرجا

(جرجا عبر التاريخ وجهود علمائها في خدمة العلوم الإنسانية)

١٤ - ١٥ شوال ١٤٤٦هـ / الموافق : ١٣ - ١٤ أبريل ٢٠٢٥م

الشعر التفاعلي لدى الدكتور عصمت رضوان

قراءة في ديوان " أوراق من خريف الوباء"

The human effectiveness of the Georgian environment: a cultural-historical reading

بقلم الأستاذ الدكتور

ياسر السيد عبدالعال البنَّا

أستاذ ورئيس قسم الأدب والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بقنا

بجامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.

العدد الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةُ

غير خفي أن العلم لا يتقيد بإقليم، ولا يحُدُّه وطن، إلا أنه في الوقت ذاته لا تخفَى علاقته بمحل صاحبه ومحيطه، وما يمده من خلفيات ويعلوه من صفات.

والوعي المجتمعي، والولاء الإقليمي يأتيان أساسا ومرتكزا طبعيا لنهوض الحضارات، وإدراك الغايات، وقد كان وسيظل "الصعيد" الطيب على مَرِّ العصور مولدا ومهبطا للعلماء والأدباء.

وعلى الرغم من مولد وإقامة الشاعر الدكتور عصمت محمد أحمد رضوان بمدينة "العسيرات" بسوهاج إلا أنه اشتهر بانتمائه وعطائه لمدينة "جرجا"، وعطائها ووفائها له، فقد احتضنته طالبا بجامعة الأزهر. كلية اللغة العربية، فكان أنجب خريجيها، ثم لحق بالعمل الأكاديمي، وكان ترقيه في الدرج العلمي حتى صار في كليته الأصيلة أستاذا وأديبا، وفي مدينته الأسيرة "جرجا" داعيا وخطيبا، وكان ترقيه في الدرج الوظيفي حتى صار في كليته وكيلا للدراسات العليا والبحوث، وعلى مرِّ هذه الرحلة الطيبة من بدايتها وحتى كتابة هذه السطور تولَّد ونما وأنار عطاؤه الأدبي، والنقدي بين دواوين شعرية في شتى ألوان الأغراض والفن، وبحوث ودراسات نقدية لا تقل عنها قيمة بين قضايا النقد، وأفانين القول.

فهو شاعر وافر المحصول من زاد الأدب، عالم باللغة، وعالم من اللغة بفنون القول، زوَّده الأدب والعلم بأسباب الإجادة والفن، ولعل حفظه للقرآن الكريم واعتياده الخطابة في سن مبكرة هم ما منحاه أصالة اللغة وسلامة اللسان العربي.

غير أن أكثر ما تحتسبه الحركة النقدية للدكتور عصمت رضوان هو شعره التفاعلي لأحداث العصر ومناسباته على تنوعها وتلاحقها، فما تكاد المناسبة تمرّ حتى يدركها بإبداعه الشعري تُميزه قوة العاطفة، ويؤيده تعدد أدوات التعبير، وتَلَوُّن وجوه الفن.

ومن بين هذه الأغراض العريضة للشعر التفاعلي لديه اخترت تسجيل هـذه القراءة في ديوانه: "أوراق من خريف الوباء" الذي يعد نموذجا للشعر التفـاعلي مع خطوب الزمن وأحداثه، ذلك أن الشاعر كتبه من وحي عزلته احتـرازا مـن جائحة كورونا ٢٠٢٠م، وتصويرا لما انطوى عليه وجدانه أثر هذه العزلة مـن مشاعر الألم والحزن، والخوف والفزع، والحظر والاحتراز، والأمـل والرجـاء، والفقد والرثاء، والتضرع والدعاء، وهي محاور ستة يشكل درسها مع ما يسبقها من مقدمة ويزيلها من خاتمة- خطة هذه الدراسة الموجزة، والتي يجمع منهجها بين الدرسين التحليلي والفني في عرض النماذج، ويعنى بتقديم النموذج الأكثـر دلالة على الفكرة، وسبر أغوار النص وبلوغ معانيه وقيمه الجمالية، مع أداء حق الهامش وخدمات النصوص.

"وَمَا تَوفِيقِيَ إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيهِ تَوَكَّلتُ وَإِلَيهِ أُنِيبُ"

أولًا: وصف مشاعر الحزن والألم:

كثيرا ما تقسو الحياة على بنيها فترزؤهم بالآلام والمحن، وقد تتحول القسوة إلى استبداد بالألم فتفجعهم بالنوازل والخطوب الكبرى، ومن هذه التجارب المرة مشاعر الآلام والأحزان التي اكتنفت وجدانات الشعراء بسبب جائحة "كورونا"، وبدت واضحة جلية في قصائدهم لاسيما في التعبير عن ألم الإصابة والاعتزال، وتصوير بكاء المساجد إثر إغلاقها، وتَوارِي مظاهر الابتهاج بمواسم العبادة والمناسبات الإسلامية الكبرى كشهر رمضان، وموسم الحج، والأعياد.

ومن بديع تصوير أحزان وآلام الجائحة لدى الشاعر الدكتور "عصمت رضوان"[١] ما جاء في قصيدته "سيصير هذا العسر يسرًا" قوله:[٢]

"كورونا" ألزَمَنَا الديارَ ... وأوصدَ الأبوابَ قسْرا
وتتابعتْ محنٌ تجيء ... فصولُها الشوهاءُ تتْرَى
ما كنت أحسب أن نصلِّي ... جمعةً في البيتِ ظُهْرا
وتجيءُ ثاني جمعةٍ ... ويمرُّ شهدَ الوقتِ مُرَّا
تشكو المنابرُ هجرَهَا ... وتئنُّ والعبراتُ حرَّى

من تكرار الفعل "تجيء" ولفظة "الجمعة" بدت واضحة صورة توالي الألم، فالشاعر يبكي إغلاق المساجد قسرًا في وجه المصلين احترازًا من عدوى الوباء، ذلك أنه لم يخطر بباله يومًا أن يصلي الجمعة الجامعة وأن يشهد عيد المسلمين الأسبوعي في المنزل، بين أنين العبرات وشكوى المنابر وهجر المساجد

١- ولد بقرية العسيرات بصعيد مصر عام ١٩٧٦م، حصل على الدكتوراة من جامعة الأزهر، ويعمل بها أستاذًا، من دواوينه "بغداد صبرا" و"قبل تبسم الفجر". [معجم أدباء مصر- مسعود شومان- ص١٣٩- ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٤م].

٢- ديوان "أوراق من خريف الوباء" -د/ عصمت رضوان- ص٢٥- مطبعة اقرأ، والأبيات من بحر الكامل.

والحرمان من ضيافة الله، وإذا الجمعة تأتي تلو الجمعة ويشتد الألم وتزداد القسوة ويمتد إغلاق المساجد، فيقول الشاعر: [١]

وتجيءُ ثالثُ جمعةٍ ومساجدُ الرحمن حيْرَى
وقلوبُنا في كربةٍ والحزنُ يعصرِهُنَّ عصْرا
وتجيءُ رابعُ جمعةٍ ومساجدِي تشتاقُ ذكْرا
وتجيءُ خامسُ جمعةٍ وقلوبُنا بالشوق حَرَّى
صبرًا لعلَّ اللهَ يحدثُ بعد هذا الأمر أمْرَا

يبث الشاعر في المساجد النبض الإنساني ويصورها حال الإغلاق حزينة متألمة حيرًها الهجر، ويصور قلوب روادها تعيسة مكروبة آلمها الشوق لضيافة الله، وتمر عليها الجمعة تلو الجمعة ولا تملك مع الألم والحزن سوى الصبر وانتظار لطف الله.

ومن أشد الآلام قسوة في تعبير الشعراء عن جائحة "كورونا" تأتي قصائد الترحيب بشهر رمضان ثم عيد الفطر في ظل الحظر والاحتراز إثر تغول الجائحة وسير الوباء، ومن ذلك لدى الشاعر قصيدته: "رمضان الحزين"، وقد بدأها متألماً يقول: [٢]

هل الهلالُ كموجعٍ يترنحُ وأتى يزور فما لهم لم يفرحوا؟
رمضانُ هذا العام ما من بهجةٍ لقدومه، وطيورُه لا تصدحُ
ذهبَتْ ملامحُ حسنِهِ وبهائِهِ وهو الذي كم راقَ منهُ الملمحُ
هذي المساجدُ أغلقتْ أبوابُها ليست لروَّاد العبادة تفتحُ
أين التهجد والتراويح التي كان السنا منها يلوح وينفحُ؟
ومحافل القرآن طال سكوتها كانت بليلات التلاوة تفرحُ

١-ديوان "أوراق من خريف الوباء" -د/ عصمت رضوان- ص٢٥، والأبيات من بحر الكامل.
٢- السابق ص٢١، والأبيات من بحر الكامل .

وموائد الأضـــياف أيـــن جموعهـــا؟ كانـــت لكـــل النـــاس حبًـــا تمـــنحُ

فالشهر الفضيل عادة يأتي محاطا بالبهجة والفرح وسعادة القلـوب، لكـن الشاعر يراه هذه المرة وقد جاء ليزداد الناس حزنًا مع الحزن وألماً فـوق الألـم بين خوف الوباء والإصابة، وبين ألم الحرمان مما اعتادوه احتفالًا بالشهر الفضيل والعبادة فيه، فلا اجتماع لصلاة أو ذكر، ولا وصل لرحم أو أهل، ولا موائد إفطار للصائمين، وبات على الناس تحويل بيوتهم إلى مساجد أداءً للعبادة وتخفيفًا لحدة الحزن والألم.

وفي القصيدة ذاتها أفاض الشاعر في تصوير تلك المشاعر، يقول: [1]

وجبـــالُ زينـــاتِ البيـــوتِ كأنَّهـــا ثكلـــى بثـــوبِ حـــدادها تتوشـــحُ
حتـــى فـــوانيسُ الصـــغارِ حزينـــةٌ كانـــت تغنـــي بهجـــةً إن يفرحـــوا
وتعطلـــت أســـواقُنا .. وشـــوارعٌ بـــأكف حظـــر الســـائرين تلـــوحُ
الأرض كانـــت مســـرحًا نلهـــو بـــه واليـــوم أرض للمنيـــة مســـرحُ

فهو يصف بعضًا من طقوس الاحتفال بقدوم الشهر الفضيل، من فـوانيس الأطفال وزينة البيوت وزخم الأسواق، وقد صورها متشحة بالكآبة والحزن وخطر الوباء والموت، كما صور الشوارع وقد خلت من المارة وصارت مسرحًا للوبـاء يتمتع فيها بالحركة والحرية .

١- ديوان "أوراق من خريف الوباء" – ص٢١ مرجع سابق.

ثانياً: وصف مشاعر الخوف والفزع:

دائمًا يحدثنا التاريخ عن الأوبئة والخطوب العالمية الكبرى على أنها سنن الحياة، وقد يحدثنا عنها الحاضر من حين لآخر في إطار التحذير والإنذار ومعرفة التعامل مع الأخطار، حيث عدد من الأوبئة الضعيفة استطاع العالم الحديث أن يقهرها ويخمد ثوراتها.

ولم يكن الأمر كذلك هذه المرة فقد جاء وباء "كورونا" في إطار التنازع بين الحياة والموت والعلم والجهل ليمنح هذا النزاع قدرًا من التوازن ويثبت للعالم أن تطور الزمن وتقدم العلم لا يمكن لهما الوقوف أمام دورة الحياة، وسنن الله في الكون.

ويبدو أن العالم كان منصرفًا عن هذه الحقيقة التاريخية إلى حد المفاجأة بوباء "كورونا" وسرعة الجائحة، وما تبع ذلك من مشاعر الخوف والفزع العالمي والترقب اللحظي للنزاع القائم إثر الوباء بين الموت والحياة.

وقد تداعي الدكتور عصمت رضوان لوصف هذه المظاهر فيما جاء من قصيدته: "محراب الإنابة"، التي بدأها يقول:[1]

ضاقتْ بما رحُبَتْ عليك دروبُ ... وعَلَت بصوتك أنَّة ونحيبُ

تخشى الرَّدَى وتخاف شيئًا لا يُرى ... وجنود ربك أمرهن عجيبُ

من ذلك "الفيروس" أظلمت الدُّنا ... وانقضّ َفي أُفُق الحياة غروبُ

وتعطلت جُمَعُ الهدى وشعائرٌ ... وارتاع شُبَّانٌ وفُزع شيبُ

وغدا المصافح للصديق مغامرًا ... عدواهُ تخطئُ مرةً وتصيبُ

هل جاءهم فزعُ القيامةِ عاجلًا ... حتى يفرَّ من الحبيبِ حبيبُ

فقد استهل الشاعر قصيدته من حيث الفن باستلهام النص القرآني في لفظه ومعناه، قوله تعالى: [2]"حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ"، على ما تضفيه

١- ديوان "أوراق من خريف الوباء" – ص ١٥، والأبيات من بحر الكامل.

٢-من الآية (١١٨)، سورة التوبة.

ألفاظ آي القرآن الكريم ومعانيه حين تدخل على النص من رواء وبهاء وجلال، فضلًا عن تنبيه المتلقي لتلك المظاهر التي يتناولها الوصف، حيث البكاء نحيبًا والأنين، والكآبة والعتمة التي أظلت العالم، وحالة الفزع والرعب مخافة الوباء وترقب الموت، وهي الحالة التي أدت إلى توقف الشعائر، وتباعد الناس، وشغل الفرد بأمر نفسه، حتى ليشبهها الشاعر بفزع يوم القيامة حين ينأى عن الحبيب الحبيب.

وفي نزعة دينية يُعرف بها الشاعر يرى هذا الوباء درسًا قاسيًا من الله- عز وجل- لعباده بطريق جندي ضعيف من جنوده بلغ من الصغر والوهن ما يجعله لا يُرى، على ما لهذه الرؤية من دلالة طلاقة قدرة الله -عز وجل- وضعف الإنسان وقلة حيلته.

ثالثًا: تصوير مظاهر الحظر والاحتراز:

ليس من شك في أن الحديث عن الخوف والفزع يصح مطية ملائمة وعتبة ممهِّدة للحديث عن التداعي الشعري للحظر والاحتراز، فقد جاءت قسوة الوباء بحيث تفرضهما على الناس، فلم يدع خوف الوباء شهوة إلا قهرها، ولا رغبة إلا أضعفها وربما أماتها، وقد يوافق الوباء لدى بعض الناس رقة في الطبع وانكسارا، فإذا هو يجور عليهم فوق جور الحياة، ولعل هذا يلائم الشعراء، غير أن عزلتهم تأتي منتجة مثمرة حين تتحول إلى قوة وتحدٍ ومواجهة للوباء، بإبداع فني راق يصور أحداث الجائحة، ويدعو للحظر والاحتراز.

ومن ذلك ما جاء واضحا في تلك المُقَطَّعَة بعنوان "تصيحة كورونية" للشاعر، قوله: [1]

سألتُ اللهَ يحفظُكم ... من البلوى ويُنْجِيكمْ

أقيموا في منازِلِكم ... وربُّ العرشِ يحميكُمْ

١- ديوان "أوراق من خريف الوباء" -د/ عصمت رضوان- ص١٩، والأبيات من بحر الوافر.

خـــــروجُ النـــــاسِ تهلكـــــةٌ فـــــلا تُلقُـــــوا بأيـــــديكُم

بدأ الشاعر عزف مقطوعته بأسلوب الإنشاء حيث الدعاء بالنجاة والسلامة من خطر الوباء، وفي البيت الثاني جمع إلى الدعاء صيغة أسلوب الأمر للـدعوة إلى الحظر والبقاء في المنزل دفعًا للخطر واحترازًا وأخذًا بالأسباب وطلبًا لحماية الله، وفي البيت الثالث جمع إليهما النهي حين "تناص" لفظًا ومعنى مع القـرآن الكريم باستلهام قوله تعالى: "وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ"[1] تأكيـدًا لـدعواه وإسهامًا في بلوغ معنى الخطر حال الخروج من المنزل، فضلًا عما أضافه اللفـظ القرآني للنص من بهاء ورفعة وجلال.

رابعاً: وصف مشاعر الأمل والرجاء:

على الرغم من خوف الجائحة والوباء قد يأتي الأدب مـن وحـي العزلـة مبهجًا متفائلًا يشرق في نفوس متلقيه بالأمل والرجاء، ويبعث في حيـاتهم ولـو قدرًا من السعادة والتطلع إلى غد أفضل تنفرج فيه الغمة، أدب يعمر من جهة الفن بالمعاني والأفكار والصور، فيكون غذاء أشهى من مائـدة حافلـة، وقـد ينظـر الشعراء إلى شهور الحظر والعزلة على أنها أيام من حياتهم عاشوها وإن كانـت مخيفة مؤلمة إلا أنها تمهِّد لمستقبل عامر وتوحي بأدب نوعي موفق، فيطرحون الخوف جانبًا ويطلقون أقلامهم وبيانهم يمتح من معين الأمـل والرجـاء أفكـارًا يعبرون بها عن الجائحة والعزلة ويرسمونها بالصور والكلمات.

وفي ديوانه ونتاجه الشعري الوفير عن جائحة "كورونـا" سـطر الشـاعر الدكتور "عصمت رضوان" معاني الأمل والرجاء لاسيما في قصيدته بعنوان "يقين"، وفيها يقول: [2]

حبـــل مـــن الله لا حبـــل مـــن النـــاس مستمســـكون بـــه في غمـــرة البـــاس

١-من الآية (١٩٥)، سورة البقرة.

٢- ديوان "أوراق من خريف الوباء" -د/ عصمت رضوان- ص١٣، والأبيات من بحر البسيط.

مؤملـــــون بـــــأن الله منقـــــذنا ... مـــن ليـــل هـــذا الـــردى والغيهـــب القاســـي
وموقنـــــون بـــــأن الله مخرجنـــــا ... مـــن ظلمـــة الحـــوت في بشـــرى وإينـــاس
ســـينبت النـــور مـــن يقطـــين فرحتنـــا ... ويثمـــر الفـــرَجُ المنشـــود للنـــاس
وتنجلـــي الغمـــة النكـــراء تاركـــة ... مـــواعظ الحـــق في قلـــبي وإحساســـي
وكلنـــا ثقـــةٌ في الله تغمرنـــا ... ولـــيس يـــدركنا شـــيءٌ مـــن اليـــاس

هو نزوع للأمل وثقة في عفو الله وإيمان بفضله وعطائه، ورجاء لا ينقطع حتى في ذروة الألم والبأس وفتك الوباء القاتل، فلابد من زوال الغمة وتولي الظلام، وقد " تناص" الشاعر في هذا المعنى مع ما كان من أمر يونس -عليه السلام- في موقف أشد ظلامًا وحلكًا وضيقًا حين التقمه الحوت، " فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧"[1]، فأدركته عناية الله -تعالى- ورحمته، وقد حكاها القرآن الكريم " فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُۡجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ٨٨ "[2]، حيث تنجلي الغمة بإذن الله -تعالى- ولا يبقى منها سوى الذكرى والعظة والعبرة، ولم يكن في وسع الشاعر إلا أن يعبر عن هذا الأمل وقد بلغ في نفسه حد اليقين.

خامساً: بث آلام الفقد والرثاء:

إذا كان شعر من وحي عزلة الجائحة عند معاني الخوف والفزع أو الأمل والرجاء-أو غيرها من المعاني- يوحي بروائع الأدب والفن فليس من شك في أن تداعيه لآلام الفقد والرثاء يكون أرقى وأقوى، وشعور القلب بها أعظم، وألوان التعبير عنها أصدق؛ لأن صدور قائليها نَفَثَتْ بها وقلوبهم تحترق آلامًا وحسرة، وعيونهم تفيض دموعًا وأسىً، حتى لنرى هذه الدموع والآلام مصورة على الصفحات.

١-آية (٨٧)، سورة الأنبياء.

٢-آية (٨٨)، سورة الأنبياء.

ولعل أكثر ما يدل على ذلك هذه الدفقة من دموع الشاعر رثاءً لأول أطباء جامعة الأزهر وفاة بالوباء الطبيب "أحمد اللواح"، وقد توفي بعد أن أبلى بلاء حسنا منقذًا ومداويًا في مستشفى العزل، وقد بدأ الشاعر قصيدته بتحية الجيش الأبيض عالَم الطب بكل منتسبيه أصحاب البطولة الأكبر وقت الجائحة، يقول: [1]

حزن يلوح موشحًا .. وجراح ... والناس غُفْل والرَّدى لَمَّاحُ
تجري على تعبِ الحياةِ جسُومهم ... والموتُ فوقَ صدورهم يرتاحُ
وقلوبُهم ملئت أسىً ما ردَّه ... إلا الدعاءُ بغمةٍ تنزاحُ
ومعاطفٌ بيضٌ تدافع عنهمُ ... فكأنَّهن أسنةً ورماحُ
جيشٌ تسربلَ بالبياض.. قلوبهم ... كثيابهم، ووجوههم إصباحُ
يبنونَ سفنًا للنجاة، وعزمهم ... دُسُرٌ، ومن إيمانهم ألواحُ
والداء أطغى لجَّةٍ.. في جوفها ... يهوى العتِىُّ، ويغرق السباحُ

حُق للشاعر فإذا كان الحزن والوباء والموت يهدد الناس بفعل الجائحة فليس من شك في أنه يحيط بأهل الطب ويكون منهم أدنى وأقرب، وإذا كان الناس على رغم الاحتراز والعزلة عرضة للوباء فليس من شك في أن أهل الطب أكثر عرضة وهدفًا لكن سمو القصد ونبل الهدف يدعوهم للتضحية بقلوب ووجوه يراها الشاعر بيضًا في لون معاطفهم، يبنون من العزيمة والإيمان سفنًا تقل المصابين إلى النجاة، يسابقون الوباء ويقهرونه وإن استبد فتكه وخطره وأدرك من لا تدركه سفينتهم.

ثم ينتقل الشاعر في القصيدة إلى غرضه الرئيس ورثاء الطبيب الشهيد يقول:

هذا من الجُندِ البواسل .. كفّهُ ... تأسو ونور جبينه مصباحُ
في الأزهر المعمورِ عُلِّمَ طِبَّهُ ... فهو الطبيبُ العالمُ الجراحُ

١- نشرت على صفحته على شبكة التواصل الاجتماعيface book بتاريخ ٢٠٢٠/٦/١٢م، ثم ضمها ديوانه ص٢١ ، والأبيات من بحر الكامل.

نـــادوه أنْ لبِّـــي اســـتغاثة موجـــعٍ لبَّـــى ووجْـــهُ يقينـــهِ وضَّـــاحُ
وعلـــى ثغـــور المـــوتِ راحَ مرابطًـــا وجيـــوشُ "فـــيروس" الـــردى تجتـــاحُ
أبْلـــى بـــلاءَ البـاســـلينَ وطبُّـــهُ في ســـاح ميـــدان المنـــون كفـــاحُ
حتـــى أتتْـــهُ مـــن الإلـــه شـــهادةٌ فمضـــى إليـــهِ ومـــا عليـــه جُنـــاحُ

في حالة الحزن والشجن المسيطرة على الشاعر يـذكر صـفات الطبيـب الشهيد من عطاء الكف ونور الجبين، والعِلم الأزهري الذي أورثه الحرص علـى الشَّهادة والتضحية، ثم يصف الشاعر مشهد وفاة الطبيب حين انتقلت إليه عدوى الوباء بينما كان يؤدي عمله في إنقاذ المرضى بالوباء في شجاعة وبسالة لا تعبأ بالعواقب، ويفيض الشاعر في وصف تلك الصورة رثاء يقول:

مـــات المـــداوي كـــي يعـــيشَ مريضُـــه ويلـــوحُ في غســـقِ الوبـــاءِ صـــباحُ
ومضـــى إلى الله الـــرحيم يزفُّـــهُ مســـكُ الجنـــانِ، وعطرهـــا الفـــواحُ
وتفتَّحَـــتْ أبوابُهـــا، ودَعَـــاه في شـــوقٍ منـــادي بابهـــا الصَّـــداحُ
ضـــحيتَ بـــالروح العزيـــزة راضـــيًا فاهنـــأ بـــدارِ الخُلْـــدِ يـــا لـــوَّاحُ

بنفس متألمة ونغم حزين يصور الشاعر انتقال الطبيب "أحمد اللواح" إلـى ربه بعد أن وهب نفسه لمرضاه مختارًا الشهادة وحياة الجنة التي صورها الشاعر مشتاقة تفتح أبوابها احتفالًا باستقبال الشهداء، ويناديهم حراسها هنيئًا لكم الخلود بما قدمتم من تضحية وفداء.

سادساً: وصف مشاعر التضرع والدعاء:

حين تصدق نية الإنسان في عبوديته لله -تعالى-، فإنه يغمر قلبـه نـور وضاء، وتَوَجُّه نحو الله بالتضرع والدعاء، لاسيما في وقت الأزمات حين تؤلمـه التجربة وتعييه الحياة، وبمقدار صدق التوجه ونقاء القلب والوجدان يتحقق جانب الإخلاص، وقد استوعب الأسلوب الأدبي منذ قديم تبتل الداعين، وأنـات البـاكين وابتهالات العائذين وضراعات الحيارى وأدعية الموفقين، لاسـيما حـين تسـلم للأديب نزعته الدينية، وأدواته الفنية.

وهي الأدوات التي سلمت للدكتور "عصمت رضوان" فراح يختم قصيدته "رمضان الحزين" بطلب التضرع إلى الله تعالى والدعاء أن يرتفع البلاء، وينحسر الوباء، يقول: (١)

صبرًا إذا مسَّ البلاءُ ربوعَنَا ... فالصبرُ في الخطبِ الدواءُ الأنجحُ

وجناب ركن الله حصن عاصم ... آووا إليه لدى الشدائد تفلحوا

مدُّوا إلى باب السماءِ أكفَّكم ... بدعائكم باب السماءِ سيفتحُ

للخلاص من هذا الوباء القاتل يوصي الشاعر بالاستعانة بالصبر والدعاء ويقدمهما الدواء الناجع والشفاء الناجح والحصن الحصين الذي ينبغي أن نركن إليه في النوازل، برفع أكف الضراعة والخضوع إلى السماء لعلها تفتح أبوابها ويرضى الله –عز وجل– ويتفضل بالإجابة.

وفي قصيدة أخرى يؤكد الشاعر انقطاع أسباب الحياة إلا من باب الله –عز وجل– والإنابة إليه والرجاء، يقول مخاطبًا الإنسان: (٢)

غرتك أسباب الحياة وزخرفٌ ... لاه، ودنيا كالسراب كذوبُ

واليوم بانت للعيان حقيقةٌ ... أن العزيزَ بنصرها مغلوبُ

وبأن محراب الإنابة واسعٌ ... فإليه يرجعُ راشدٌ وينوب

قد قطعت في الأرض أسباب الرجا ... لكنما رب السماء مجيب

فادع السميع ليكشف البلوى عسى ... فرج به يأتي الكريم قريب

يحذر الشاعر أن يغترَّ الإنسان بأسباب الحياة وأسباب الحيطة والطب والحظر والاحتراز، ولا يعي أسباب الرجوع إلى الله والإنابة إليه والدعاء ليكشف البلوى ويفرج الكرب ويُعجِّل برفع البلاء، فقد بان للعيان بعد أزمة الوباء خطأ من يطرق أبواب الدنيا يبحث عن أسباب الحياة بعيدا عن أسباب الآخرة وأبواب الله.

١– ديوان "أوراق من خريف الوباء" – ص٢١، والأبيات من بحر الكامل .

٢– من قصيدة "محراب الإنابة"– ديوان "أوراق من خريف الوباء" – ص ١٥، والأبيات من بحر الكامل.

خاتمة

الحمد لله مجيب الدعوات ومتم المنجزات، والصلاة والسلام على سيد السادات، وعلى آله وصحبه الهداة، أما بعد.

فغير خفي ما قدمه الشعر التفاعلي من تأريخ أدبي عال لمختلف الأحداث، وكذلك لا يخفى ما قدمته العزلة على مر الزمن من روائع أدبية فريدة وبدائع فنية نفيسة حفظها تاريخ الأدب كما حفظ الريادة في "أدب من وحي العزلة" لأبي العلاء المعري حين حبس نفسه قلقًا وخوفًا وعزلًا، وجار عليها فوق جور الحياة، ومنذ ذلك الحين ويبيت شعر العزلة الأكثر تفاعلًا وتأثيرًا، ويأتي فنًا منتجًا ومثمرًا، له حضوره وأثره الفني، كما أنه يبدو للعيان وعلى مر التاريخ ما قدمته وتقدمه مدينة "جرجا" من أدب ونقد وفن.

وهذا كله ما تؤكده هذه الدراسة الموجزة لديوان "أوراق من خريف الوباء" للشاعر الدكتور عصمت رضوان، والذي كتبه من وحي عزلة جائحة "كورونا ٢٠٢٠"، بما ينتهي إليه الدرس من نتائج وتوصيات يمكن إجمالها فيما يلي:

– بدا أنه على الرغم من أن الوباء لم يَدَعْ شهوة إلا أضعفها، ولا نفسًا إلا أخضعها خوفًا وقلقًا وعزلة وألماً إلا أن عزلة الشاعر الدكتور عصمت رضوان جاءت منتجة مبدعة مثمرة بفيض من الأدب والفن.

– تؤكد الدراسة أن الديوان موضوع البحث فضلًا عن وفائه بموضوعه من حيث الدلالة والموسيقا كذلك جاء مقدمة حديثة عهد بالجائحة يحسب لها أن تعبد الطريق لتجارب كثيرة قادمة .

– كما تؤكد الدراسة أن الشاعر بهذا الديوان استطاع التعبير بحرية وصدق عن اتساع الذات الشاعرة وتصاريف أفعال القلب رغم ظل الوباء، واستطاع أن يفي بمشاعر الحزن والألم، والخوف والفزع، والحظر والاحتراز، والأمل والرجاء، والفقد والرثاء، والتضرع والدعاء، وهي المشاعر التي نتجت عن التفاعل مع الجائحة والعيش في ظل الوباء.

– كما توصي الدراسة حركة النقد الأدبي المعاصر أن تقف من الأدب التفاعلي مع أحداث المجتمع موقفًا دارسًا ومعالجًا، وأن تأتي إسهامًا جادًا في توجيه الوعي الفني لدى الأدباء.

– وكذلك تنبه الدراسة إلى أن ما يتعرض له العالم من نوازل، وخطوب، لا ينبغي أن تفل عزيمة الناس، لاسيما الأدباء والعلماء بما يمكنهم من تجاوز الأحداث والنفاذ منها أكثر قوة ومنعة ونتاجًا وثمرة، وبما هو منوط بهم من الأخذ بيد المجتمع لتجاوز الآلام وتخطي المحن.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أ.د. ياسر السيد البنَّا

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

_ "ديوان من إوراق الخريف"_ د.عصمت رضوان _ مطبعة اقرأ_ الأولـــى ٢٠٢٣م

_ "عصمت رضوان.. فيض من الشعر وصفاء الوجدان" _ للباحث_ ط.كتاب المؤتمر العلمي الدولي الثالث لمدرسة شباب النقد الأدبي _ ط.الأولى ٢٠٢٤م.

_ معجم أدباء مصر _ مسعود شومان_ ط. الهيئة المصرية العامة للكتـــاب ٢٠٢٤م.

مواقع شبكة المعلومات الدولية "نت":

- www.albawabhnews.com _
- https://ar.wikipedia.org
- https\\poetsgate.com

مواقع التواصل الاجتماعي

- https://www.facebook.com/

تم بحمد الله